



مسلك الحداثيين في التعامل مع السنة المشرفة

(Method of the Modernist in Dealing with the Sunnah)

[1]Rabīe Ibrahīm Mohamed Hassan, [2]Abdul Ghani Bin Md Din, [3]Mohamed Hāmed Mohamed Said
[4]Sha'aban 'Abdel Hamīd Refāe Mohamed

[1,3,4]Senior Lecturer Faculty of Usuludin and Sains al-Quran, Universiti Islam Antarabangsa Sultan Abdul Halim Mu'azdam Shah, Kuala Ketil 9300, Kedah Darul Aman
[2]PhD student Department of Hadith Faculty of Usuludin and Sains al-Quran, Universiti Islam Antarabangsa Sultan Abdul Halim Mu'azdam Shah, Kuala Ketil 9300, Kedah Darul Aman

Abstract

يسعى البحث إلى بيان انحراف الحداثيين في التعامل مع السنة النبوية المشرفة، كذلك بيان زيف وبطلان دعاويهم ضد السنة النبوية المشرفة، ويهدف البحث إلى تنوير الشباب المسلم خاصة والمسلمين عامة حتى لا ينخدعوا بأفكار الحداثيين، ولا ينبهروا بالشعارات التي يرفعونها، كذلك بيان مناهج المحدثين في توثيق واعتماد الأحاديث، حتى يكونوا بينة منهم ويتنبوهم، وسنتبع في هذا البحث المنهج الاستقرائي والمنهج التحليلي الاستنباطي؛ وذلك باستقراء وتتبع كتابات الحداثيين، وتعاملهم مع السنة المشرفة، وذلك من خلال كتاباتهم وكتبهم، وليس من خلال ما نقل عنهم، أو ما قاله مخالفوهم عنهم، ثم المنهج التحليلي الاستنباطي لاستنباط مسالكهم في نقد السنة المشرفة والتعامل معها، ومن النتائج المتوقعة التي سنصل إليها أن الحداثيين يتبنون المناهج الغربية لنقد موروثاتهم الدينية التي كانت بالفعل تحتاج إلى نقد علمي وعقلي، لما شاب تلك الموروثات من خرافات وخزعبلات، فهم يتبنون نفس المناهج للتعامل مع التراث الإسلامي، وأنهم يقدسون عقولهم ويجعلونها قاضية على الكتاب والسنة، وأنهم ينظرون إلى النموذج الغربي على أنه النموذج الذي يجب أن يحتذى وينشد، وأن تراثنا الإسلامي هو سبب تأخر الأمة، وغيرها، والله المستعان وهو الهادي إلى الطريق المستقيم.

كلمات مفتاحية : مناهج، مسلك، الحداثيون، المستشرق، المعتزلة.

Article Progress

Received: 7 July 2019
Revised: 15 October 2019
Accepted: 8 November 2019

*Corresponding Author:
Sha'aban 'Abdel Hamīd Refāe Mohamed.
Senior Lecturer Faculty of Usuludin and Sains al-Quran, Universiti Islam Antarabangsa Sultan Abdul Halim Mu'azdam Shah, Kuala Ketil 9300, Kedah Darul
Email: elrafaiia@yahoo.com

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أنزل الله عليه الذكر ليبين للناس ما نزل إليهم لعلهم يتفكرون. وبعد: فقد ظهرت فرق وتيارات فكرية على مدار تاريخ الدعوة الإسلامية، منها ما واجه الإسلام صراحة، وحاربه محاربة سافرة، ومنها ما انتسب إلى الإسلام لكن له أفهام وأفكار مجافية للإسلام، وخارجة عن روحه وحقيقته التي جاء بها النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ومن هذه التيارات الفكرية التي ظهرت في القرن الماضي تيار ما يسمى بالحداثة، وقد نشأت الحداثة أولا بالغرب، ثم انتقلت إلى العالم العربي والإسلامي على يد تلاميذ الغرب والمفتونين بهم، فأخذ الحداثيون العرب ينادون بما نادى به الحداثيون الغربيون، فينادون بالثورة على التراث، وتجاوز السائد والمألوف، والتمرد على كل ما هو سابق ومعروف، وهدم الماضي الموروث، وإخضاع النصوص الشرعية من القرآن والسنة للنقد وفق عقولهم وأهوائهم، فلا يوجد نص

مقدس فوق النقد، وهذا في ذاته يعني تشكيك هؤلاء في أصل الوحي، وكان للسنة النصيب الأوفر من سهام هؤلاء، وهم في ذلك يتخذون مسالك شتى للتعامل مع السنة، وهذا البحث يوجز الحديث عن مسالك هؤلاء في تعاملهم مع السنة المشرفة، وهو بعنوان: "مسلك الحداثيين في التعامل مع السنة المشرفة"، وقد جاء هذا البحث في مقدمة، وتمهيد، وستة مطالب، وخاتمة.

تمهيد: تعريف الحداثة لغة واصطلاحا

الحداثة لغة:

قال ابن منظور: الحديث: نقيض القديم. والحدوث: نقيض القدمة. حدث الشيء يحدث حدوثا وحداثة"[1].

وقال ابن فارس: الحاء والدال والثاء أصل واحد، وهو كون الشيء لم يكن. يقال حدث أمر بعد أن لم يكن[2].

وقال الرازي: و(الْحُدُوثُ) بِالضَّمِّ كَوْنُ الشَّيْءِ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ وَبَابُهُ دَخَلَ (أَحْدَثَهُ) اللَّهُ (فَحَدَثَ) . وَ(الْحَدَثُ) بِفَتْحَتَيْنِ وَ(الْحُدْثَى) بِوَزْنِ الْكُبْرَى وَ(الْحَادِثَةُ) وَ(الْحَدَثَانُ) بِفَتْحَتَيْنِ كُلُّهُ بِمَعْنًى. وَ(اسْتَحْدَثَ) خَبَرًا وَجَدَ خَبَرًا جَدِيدًا. وَرَجُلٌ (حَدَثٌ) بِفَتْحَتَيْنِ أَيْ شَابٌّ فَإِنْ ذَكَرْتَ السِّنَّ قُلْتَ: (حَدِيثُ) السِّنِّ وَغِلْمَانٌ (حِدْثَانٌ) أَيْ أَحْدَاثٌ. وَ(الْمُحَادَثَةُ) وَ(التَّحَادُثُ) وَ(التَّحَدُّثُ) وَ(التَّحْدِيثُ) مَعْرُوفَاتٌ وَالْأُحْدُوثَةُ بِوَزْنِ الْأُعْجُوبَةِ مَا يُتَحَدَّثُ بِهِ. وَ(الْمُحَدَّثُ) بِفَتْحِ الدَّالِ وَتَشْدِيدِهَا الرَّجُلُ الصَّادِقُ الظَّنِّ[3].

وقال الحموي: "حَدَثَ الشَّيْءُ حُدُوثًا مِنْ بَابِ قَعَدَ تَجَدَّدَ وُجُودُهُ فَهُوَ حَادِثٌ وَحَدِيثٌ وَمِنْهُ يُقَالُ حَدَثَ بِهِ عَيْبٌ إذَا تَجَدَّدَ وَكَانَ مَعْدُومًا قَبْلَ ذَلِكَ وَيَتَعَدَّى بِالْأَلِفِ فَيُقَالُ أَحْدَثْتُهُ وَمِنْهُ مُحْدَثَاتُ الْأُمُورِ وَهِيَ الَّتِي ابْتَدَعَهَا أَهْلُ الْأَهْوَاءِ. وَأَحْدَثَ الْإِنْسَانُ إحْدَاثًا وَالِاسْمُ الْحَدَثُ وَهُوَ الْحَالَةُ النَّاقِضَةُ لِلطَّهَارَةِ شَرْعًا وَالْجَمْعُ الْأَحْدَاثُ مِثْلُ: سَبَبٍ وَأَسْبَابٍ وَمَعْنَى قَوْلِهِمْ النَّاقِضَةُ لِلطَّهَارَةِ أَنَّ الْحَدَثَ إنْ صَادَفَ طَهَارَةً نَقَضَهَا وَرَفَعَهَا وَإِنْ لَمْ يُصَادِفْ طَهَارَةً فَمِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَكُونَ كَذَلِكَ حَتَّى يَجُوزَ أَنْ يَجْتَمِعَ عَلَى الشَّخْصِ أَحْدَاثٌ"[4].

الحداثة اصطلاحا:

الحداثة مصطلح غربي يقوم على التحرر من سيطرة الثوابت والمعتقدات، وإخضاعها لهيمنة العقل في كل ميادين الحياة، وقد كثرت تعريفاته عند الحداثيين، وعند الناقدين للحداثة، ومن أقرب التعريفات وأشملها التعريف التالي:

---

[1] ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل الأنصاري الرويفعى الإفريقى، 1414هـ ، **لسان العرب**"، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة،ج 2، ص131.

[2] أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، د.ت، **معجم مقاييس اللغة**"، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ج2، ص36.

[3] الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، د.ت، **مختار الصحاح**"، المحقق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، صيدا، ص 68 .

[4] الفيومي، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس، د.ن، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**"، الناشر: المكتبة العلمية، بيروت، ج1، ص124 .

" الحداثة هي محاولة صياغة نموذج للفكر والحياة يتجاوز الموروث، ويتحرر من قيوده (ثوابته) ليحقق تقدم الإنسان ورقيه بعقله ومناهجه العصرية الغربية لتطويع الكون لإرادته واستخراج مقدراته لخدمته"[1].

ويكون الحداثي بذلك هو الشخص الذي يأخذ بهذا النموذج، ويسعى لتطبيقه على الواقع المعاش، فهو بذلك يحدث في الدين تغييرا وتبديلا، وزيادة ونقصانا.

قال ابن حجر: "وقد توسع من تأخر عن القرون الثلاثة الفاضلة في غالب الأمور التي أنكرها أئمة التابعين وأتباعهم ولم يقتنعوا بذلك حتى مزجوا مسائل الديانة بكلام اليونان وجعلوا كلام الفلاسفة أصلا يردون إليه ما خالفه من الآثار بالتأويل ولو كان مستكرها ثم لم يكتفوا بذلك حتى زعموا أن الذي رتبوه هو أشرف العلوم وأولاها بالتحصيل وأن من لم يستعمل ما اصطلحوا عليه فهو عامي جاهل فالسعيد من تمسك بما كان عليه السلف واجتنب ما أحدثه الخلف"[2].

المطلب الأول

المسلك الأول: الاقتصار على نقد المتن فقط دون السند

الحداثيون لا ينشغلون بالكلام على الإسناد صحة وضعفا، فما كان يتوافق مع عقولهم وأهوائهم قبلوه حتى ولو كان موضوعا، أو ساقطا، أو لا أصل له، وما تعارض مع عقولهم ومسالكهم في التعامل مع النصوص الشرعية عموما رفضوه ولو في أعلى درجات الصحة. فصحة السند أو ضعفه ليس لها عندهم أي اعتبار.

يقول جمال البنا: "معيار الصحة هو المتن وليس السند؛ لأن هذا سيجعل المعنى هو الفيصل"[3].

ويقول خليل عبد الكريم: "نحن لا نقوم الأحاديث بالميزان الذي كان يمسكه علماء الجرح والتعديل، إن لنا مقياسا مغايرا، فنحن نقبلها على علاتها، .... لا نوزنها بميزان صدورها من محمد أو هذا أو ذاك من الصحابة، ولكننا نزنها بميزان دلالتها عما كان يعتمل في ذلك المجتمع... وهذه الأحاديث حتى الموضوعة نستشف منها الكثير... إذ إنها مهما بلغ عوارها أو الحديثي فإنها نتاج عصرها، وثمرة بيئتها"[4].

وميزان علماء الجرح والتعديل الذي يرفضه خليل عبد الكريم يقوم على نقد السند والمتن معا.

وهذا المسلك وضعه الغرب لنقد موروثاتهم اعتمادا على النصوص فقط؛ لأنهم ليس لديهم أسانيد يعتمدون عليها، أو ينتقدونها، وهذا يخالف تماما الوضع عند المسلمين، إذا إن أي نص ليس له إسناد ليس له أي اعتبار.

---

[1] الحارث فخري عبد الله، د.ت، **الحداثة وموقفها من السنة**"، دار السلام- مصر، ص33.

[2] ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، 1379هـ، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**"، دار المعرفة، بيروت، ج13، ص253.

[3] جمال البنا، د.ت، **السنة ودورها في التجديد**" دار الفكر الإسلامي، القاهرة، ص 118.

[4] خليل عبد الكريم، د.ت، **الصحابة والمجتمع**"، سينا للنشر، مصر، ص343 .

روى الخطيب البغدادي، عن محمد بن حاتم بن المظفر أنه قال: "إِنَّ اللَّهَ أَكْرَمَ هَذِهِ الْأُمَّةَ وَشَرَّفَهَا وَفَضَّلَهَا بِالْإِسْنَادِ، وَلَيْسَ لِأَحَدٍ مِنَ الْأُمَمِ كُلِّهَا، قَدِيمِهِمْ وَحَدِيثِهِمْ، إِسْنَادٌ، وَإِنَّمَا هِيَ صُحُفٌ فِي أَيْدِيهِمْ، وَقَدْ خَلَطُوا بِكُتُبِهِمْ أَخْبَارَهُمْ، وَلَيْسَ عِنْدَهُمْ تَمْيِيزٌ بَيْنَ مَا نَزَلَ مِنَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ مِمَّا جَاءَهُمْ بِهِ أَنْبِيَاؤُهُمْ، وَتَمْيِيزٌ بَيْنَ مَا أَلْحَقُوهُ بِكُتُبِهِمْ مِنَ الْأَخْبَارِ الَّتِي أَخَذُوا عَنْ غَيْرِ الثِّقَاتِ. وَهَذِهِ الْأُمَّةُ إِنَّمَا تَنُصُّ الْحَدِيثَ مِنَ الثِّقَةِ الْمَعْرُوفِ فِي زَمَانِهِ، الْمَشْهُورِ بِالصِّدْقِ وَالْأَمَانَةِ عَنْ مِثْلِهِ حَتَّى تَتَنَاهَى أَخْبَارُهُمْ، ثُمَّ يَبْحَثُونَ أَشَدَّ الْبَحْثِ حَتَّى يَعْرِفُوا الْأَحْفَظَ فَالْأَحْفَظَ، وَالْأَضْبَطَ، فَالْأَضْبَطَ، وَالْأَطْوَلَ مُجَالَسَةً لِمَنْ فَوْقَهُ مِمَّنْ كَانَ أَقَلَّ مُجَالَسَةً. ثُمَّ يَكْتُبُونَ الْحَدِيثَ مِنْ عِشْرِينَ وَجْهًا وَأَكْثَرَ حَتَّى يُهَذِّبُوهُ مِنَ الْغَلَطِ وَالزَّلَلِ، وَيَضْبِطُوا حُرُوفَهُ وَيَعُدُّوهُ عَدًّا. فَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ نِعَمِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ"[1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وَعِلْمُ الْإِسْنَادِ وَالرِّوَايَةِ مِمَّا خَصَّ اللَّهُ بِهِ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَعَلَهُ سُلَّمًا إِلَى الدِّرَايَةِ. فَأَهْلُ الْكِتَابِ لَا إِسْنَادَ لَهُمْ يَأْثُرُونَ بِهِ الْمَنْقُولَاتِ، وَهَكَذَا الْمُبْتَدِعُونَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَهْلُ الضَّلَالَاتِ، وَإِنَّمَا الْإِسْنَادُ لِمَنْ أَعْظَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْمِنَّةَ" أَهْلُ الْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ، يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الصَّحِيحِ وَالسَّقِيمِ وَالْمُعْوَجِّ وَالْقَوِيمِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ وَالْكُفَّارِ إِنَّمَا عِنْدَهُمْ مَنْقُولَاتٌ يَأْثُرُونَهَا بِغَيْرِ إِسْنَادٍ، وَعَلَيْهَا مِنْ دِينِهِمْ الِاعْتِمَادُ، وَهُمْ لَا يَعْرِفُونَ فِيهَا الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ، وَلَا الْحَالِي مِنَ الْعَاطِلِ"[2].

المطلب الثاني

المسلك الثاني: عرض السنة على القرآن

السنة المشرفة شارحة ومبينة للقرآن، فقد قال تعالى: "وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ" [النحل:44]، ولا يمكن أبدا للمُبيِّنِ أن يناقض أو يعارض المبَيَّنَ، فإذا صح الحديث سندا ومتنا فلا يمكن أن يعارض القرآن إلا بفهم خاطئ أو بتأويل فاسد.

قال ابن القيم: "والذي نُشهد الله ورسوله به: أنه لم تأت سنة صحيحة واحدة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تناقض كتاب الله وتخالفه ألبتة، كيف ورسول الله صلى الله عليه وسلم هو المبين لكتاب الله، وعليه أنزل، وبه هداه الله، وهو مأمور باتباعه، وهو أعلم الخلق بتأويله ومراده، ولو ساغ رد سنن رسول الله صلى الله عليه

---

[1] الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي، د.ت، **شرف أصحاب الحديث**"، المحقق: د. محمد سعيد خطي أوغلي، دار إحياء السنة النبوية، أنقرة، ص40.

[2] ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، د.ت، **مجموع الفتاوى**"، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ج1، ص9.

وسلم لما فهمه الرجل من ظاهر الكتاب لردت بذلك أكثر السنن، وبطلت بالكلية، فما من أحد يحتج عليه بسنة صحيحة تخالف مذهبه ونحلته لا ويمكنه أن يتشبث بعموم آية أو إطلاقها، ويقول: هذه السنة مخالفة لهذا العموم والإطلاق فلا تقبل"[1].

فقد يحدث التعارض بين السنة والقرآن بسبب الفهم الخاطئ للآية أو الحديث، كما حدث للسيدة عائشة رضي الله عنها، وذلك فيما أخرجه الشيخان في صحيحهما، أَنَّ عَائِشَةَ، زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كَانَتْ لاَ تَسْمَعُ شَيْئًا لاَ تَعْرِفُهُ، إِلَّا رَاجَعَتْ فِيهِ حَتَّى تَعْرِفَهُ، وَأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "مَنْ حُوسِبَ عُذِّبَ" قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ أَوَلَيْسَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: {فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا} [الانشقاق: 8] قَالَتْ: فَقَالَ: "إِنَّمَا ذَلِكِ العَرْضُ، وَلَكِنْ: مَنْ نُوقِشَ الحِسَابَ يَهْلِكْ[2].

وفيه دليل على أن عائشة رضي الله عنها لم تصعب في فهم الحديث، وظنت أنه معارض للقرآن، لولا أن بين لها النبي صلى الله عليه وسلم المعنى الصحيح للحديث

مفهوم عرض السنة على القرآن عند الحداثيين:

الحداثيون يردون الحديث لأدنى شبعة معارضة للقرآن دون ضابط معين، بل على حسب فهم وهوى كل واحد منهم! فهم يريدون إخضاع" كل حديث لميزان القرآن، فإن كان فيه مناقضة قليلة أو كثيرة رفضناه، واطمأنت قلوبنا إلى رفضه؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم إنما كان مفسرا للقرآن، ومفصلا للمجمل من أحكامه"[3]

وبذلك فأي خبر، أو حكم جاء في السنة ولم ينص عليه القرآن فهو مردود عندهم، فردوا أحاديث المعجزات الحسية للنبي صلى الله عليه وسلم، وردوا حد الرجم، وحد الردة، وحد الخمر، وغيرها.

ومن أمثلة الأحاديث التي ردوها بدعوى التعارض مع القرآن: ما أخرجه البخاري في صحيحه، عَنِ البَرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِحَسَّانَ: "اهْجُهُمْ - أَوْ هَاجِهِمْ وَجِبْرِيلُ مَعَكَ"[4]

قال زكريا أوزون: "أن يأمر الرسول بهجاء المعارضين له هو أمر فيه شك؛ لأن الباري- عز وجل – قال فيه: "وإنك لعلى خلق عظيم"، ولكن أن يكون جبريل الأمين مع الشاعر حسان في هجائه بحيث يصبح شعره مؤيدا من السماء فهذا أمر لا يمكن قبول نسبه إلى الرسول الكريم"[1]

---

[1] ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، د.ت، **الطرق الحكمية في السياسة الشرعية**"، المحقق: نايف بن أحمد الحمد، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ج1، ص187.

[2] البخاري، 1422هـ، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، (**صحيح البخاري**)، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه**"، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، كتاب العلم– باب من سمع شيئا فلم يفهمه فراجع فيه حتى يعرفه– رقم (103)، وأخرجه مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب صفة القيامة والجنة والنار – باب إثبات الحساب– رقم (2876).

[3] محمود أبو رية، **د.ت، أضواء على السنة المحمدية**"، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة، ص9.

[4] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب بدء الخلق– باب ذكر الملائكة– رقم (3213).

ويقول جمال البنا:" هناك أحاديث جاءت بما لم يأت به القرآن، نحن نحكم عليها في ضوء القرآن، فما لا يخالف القرآن يقبل، وما يخالفه يستبعد"[2]

فالأحاديث التي تخالف القرآن من وجهة نظره "كل ما لم يأت به القرآن"، أي أن كل حديث لم يأت مطابقا للقرآن مطابقة تامة يكون معارضا للقرآن ويجب رده!!

وهذا إنكار للسنة؛ لأنه إذا كان مطابقا للقرآن قبلوه لمطابقته للقرآن، فالحجة حينئذ للقرآن فقط، وإذا جاء بحكم لم ينص عليه القرآن، أو بأي شيء لم ينص عليه القرآن يستبعد لمعارضته للقرآن.

ويقول أيضا: "وإذا كان تطبيق هذا المعيار يؤدي بمئات أو أكثر من الأحاديث التي احتفظ بها المجتمع الإسلامي لألف عام، فقد لا يكون من المبالغة القول: إن هذا الاحتفاظ كان من أكبر أسباب تخلف هذا المجتمع، وأنه لن يتقدم إلا عندما يتخلص من هذه الأحاديث التي تخالف القرآن"[3]

وقال محمد حسين هيكل:" وعندنا أن خير مقياس يقاس به الحديث، وتقاس به سائر الأنباء التي ذكرت عن النبي ما روي عنه عليه السلام أنه قال: "إنكم ستختلفون من بعدي فما جاءكم عني فاعرضوه على كتاب الله، فما وافقه فمني، وما خالفه فليس عني"[4].

وهذا الحديث الذي استدل به على عرض السنة على القرآن– وفق مفهومهم– موضوع مكذوب.

قال الخطابي: وضعته الزنادقة، ويدفعه حديث: "أوتيت الكتاب ومثله معه.

وكذلك قال الصغاني، ويحيى بن معين.

وقال الشوكاني:"على أن في هذا الحديث الموضوع نفسه ما يدل على رده؛ لأنا إذا عرضناه على كتاب الله عز وجل خالفه، ففي كتاب الله عز وجل (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وما نهاكم عنه فانتهوا) ونحو هذا من الآيات[5].

وهذا دليل على أن الحداثيين لا يهتمون إلا بنقد المتن فقط دون السند، كما بينا قبل ذلك.

---

[1] زكريا أوزون، 2004م، **جناية البخاري**"، الطبعة الأولى، ص: 106 ،107.

[2] جمال البنا، د.ت، **السنة ودورها في التجديد**، ص254.

[3] جمال البنا، د.ت، **السنة ودورها في التجديد**، ص254.

[4] محمد حسين هيكل، د.ت، **حياة محمد**"، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الرابعة عشر، (ص:67).

[5] الشوكاني، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، د.ت، **الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة**"، المحقق: عبد الرحمن بن يحي المعلمي اليماني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ،(ص:291).

المطلب الثالث

المسلك الثالث: عرض السنة على العقل

العقل أصل نظرية الحداثة، فهم يدعون إلى سيادته وهيمنته على الأمور كلها، بلا حد ولا قيد، بلا تفريق بين القرآن أو السنة، لكن مع السنة فباب التشكيك عندهم أوسع، فيردون الحديث الثابت الصحيح لأدنى معارضة لعقولهم!! وقد يقبلون الضعيف والموضوع لموافقته لعقولهم!

قال العفيف الأخضر: "هذه العقلانية هي نموذج التدين الوحيد الملائم للقرن ال 21 الذي بات نفورا من اللامعقول، خاصة الهاذي، مثل اللامعقول الديني. هذه العقلانية ضرورية لفهم مؤسس الإسلام، ونص المؤسس. هذا الفهم العلمي هو الذي ينير الطريق أمام الممارسة المعقولة، ويمهد لظهور العقلانية الدينية التي لا تقبل من الدين كل ما يتعارض مع الحداثة الكونية"[1]

وقال سامر إسلامبولي:"والذي يجب أن نعرفه أولا، ونبدأ منه الحوار أن العقل موجود في الواقع قبل النقل، فالنقل نتاج لتفاعل العقل مع الواقع، مما يؤكد هيمنة العقل وسيادته على النقل[2]

يقول خليل عبد الكريم: "إن المنطلق الصحيح لأي تجديد للفكر الديني هو قراءته بعيون مفتوحة، وعقول يقظة، مع نزع غشاوات التقديس والتعظيم، وتغليب النزعة الناقدة على النزعة التسليمية المنقادة، وذلك لنتمكن من وزن الأمور وزنا صحيحا"[3]

وهؤلاء طبعا يريدون إخضاع النصوص الشرعية لعقولهم هم، وليس لعقول العلماء، أو غيرهم ممن ليسوا على تركيبة عقولهم.

والمنهج الصحيح تقديم النقل على العقل متى صح النقل وسلم من العلل، وخصوصا ما يتعلق بأمور الغيب التي لا سبيل للعقل إلى معرفتها بدون النقل.

يقول ابن تيمية: "ما علم بصريح العقل لا يتصور أن يعارضه الشرع البتة، بل المنقول الصحيح لا يعارضه معقول صريح قط. وقد تأملت ذلك في عامة ما تنازع الناس فيه، فوجدت ما خالف النصوص الصحيحة الصريحة شبهات فاسدة يعلم بالعقل بطلانها، بل يعلم بالعقل ثبوت نقيضها الموفق للشرع"[4]

هل تأثر الحداثيون بالمعتزلة؟

الحداثيون الذين يريدون التوفيق بين الحداثة والتراث يجدون في الأفكار الاعتزالية تكأة لهم وملجأ وملاذا، ليؤيدوا أفكارهم، ويبرروا آراءهم.

---

[1] العفيف الأخضر، 2014م، **من محمد الإيمان إلى محمد التاريخ**"، مكتبة بغداد، منشورات الجمل، الطبعة الأولى، ص:10،11).

[2] سامر إسلامبولي، 2015م، **تحرير العقل من النقل وقراءة نقدية لمجموعة من أحاديث البخاري ومسلم**"، القاهرة، ص13.

[3] خليل عبد الكريم، د.ت، **الصحابة والمجتمع**"، ص 380 .

[4] ابن تيمية، د.ت، **درء تعارض العقل والنقل**" جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ج1، ص 147.

وعلى هذا فالحداثيون لا يتبنون الفكر الاعتزالي جملة وتفصيلا، بل يأخذون منه ما يتمشى مع أفكارهم، أو يؤيد كلامهم ويعضده.

يقول نصر أبو زيد: "ولا يعني إحياؤنا للاعتزال أننا نقبل مواقف المعتزلة كلها عن عمى وتعصب.... تأييدنا للمعتزلة للتيار العام، وللحركة التاريخية، وليس للتفصيلات الجزئية في هذه النظرية أو تلك"[1]

فهم يأخذون من المعتزلة تقديمهم للعقل، والقول بالعدل- بمفهومهم- والقول بخلق القرآن، واستقلال العقل بالتحسين والتقبيح، وخلق الإنسان لأفعال نفسه، وغيرها مما يخدم أفكارهم.

لكن شتان بين دوافع المعتزلة للقول بهذه المبادئ ودوافع الحداثيين، فالمعتزلة قصدوا الحق فأخطأوا، لكن هؤلاء قصدوا الباطل فأصابوه.

المطلب الرابع

المسلك الرابع: عرض السنة على الواقع والحياة الاجتماعية، والذوق، والشعور

فالحداثيون يجعلون الواقع الاجتماعي هو الأصل، والنصوص الشرعية تابعة له، فما وافق الواقع من النصوص قبلوه، وما خالف الواقع رفضوه!

فإذا كان الواقع هو الأصل فما فائدة النص الشرعي إذاً؟

إن الإسلام جاء ليؤسس لواقع جديد وفق المنهج الرباني المتمثل في القرآن والسنة.

يقول أحمد أمين:"ولكنهم- يقصد المحدثين- لم يتوسعوا كثيرا في النقد الداخلي، فلم يعرضوا لمتن الحديث هل ينطبق على الواقع أو لا؟ [2]

وبخصوص معيار الذوق الذي وضعه بعض الحداثيين لقبول الحديث.

يقول زكريا أوزون:" أما الأحاديث التي تعارض العلم والمنطق والذوق السليم فنتركها دون حرج"[3]

وردَّ حديث الذبابة :"إِذَا وَقَعَ الذُّبَابُ فِي شَرَابِ أَحَدِكُمْ فَلْيَغْمِسْهُ ثُمَّ لِيَنْزِعْهُ، فَإِنَّ فِي إِحْدَى جَنَاحَيْهِ دَاءً وَالأُخْرَى شِفَاءً"[4]

بزعم تعارض معطياته مع نتائج وتطبيقات البحوث العلمية، ومع الذوق الإنساني السليم"[5].

وردَّ حديث :"إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلاَ يَمْسَحْ يَدَهُ حَتَّى يَلْعَقَهَا أَوْ يُلْعِقَهَا"[6]

---

[1] نصر حامد أبو زيد، د.ت، **نقد الخطاب الديني**"، سينا للنشر، ص184.

[2] أحمد أمين، د.ت، **ضحى الإسلام**"، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ص482.

[3] زكريا أوزون، 2004م، **جناية البخاري**"، ص27.

[4] **البخاري، صحيح البخاري**، كتاب بدء الخلق– باب إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه، فإن في إحدى جناحيه داء وفي الأخرى شفاء– رقم (**3320**). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

[5] زكريا أوزون، 2004م، **جناية البخاري**، ص147.

[6] **البخاري، صحيح البخاري**، كتاب الأطعمة– باب لعق الأصابع ومصها قبل أن تمسح بالمنديل– رقم (5456).

وقال : يعرف هذا الحديث أيضا بحديث البزازة ، وهي ظاهرة تنافي الذوق السليم، وتجانب الطب الوقائي"[1]

المطلب الخامس

المسلك الخامس: عرض السنة على روح الإسلام

بعض الحداثيين اخترع معيارا فضفاضا، وهو عرض الحديث على روح الإسلام، فإن وافق روح الإسلام فيقبل، وإن عارض روح الإسلام فيرد! فما ضابط روح الإسلام؟ ومن الذي يحدد روح الإسلام؟!

طبعا هم الذين يحدون ما يتمشى مع روح الإسلام، وما لا يتمشى معها!

يقول نصر أبو زيد: "جوهر الإسلام ليس معطى ثابتا، بل هو جوهر قابل دائما للاستنباط وإعادة الاكتشاف بحسب تطور الوعي الإنساني"[2]

وهذا الثوب الفضفاض الذي يسمونه روح الإسلام يفتح طبعا الباب على مصراعيه لرد أي حديث لا يروق لشخص بدعوى معاضته لروح الإسلام.

وتحت ذريعة روح الإسلام رد الدكتور حسن حنفي أحاديث الإسراء والمعراج لمعارضتها روح الإسلام!

".. فالإسلام دين واقعي ورسالة إنسانية اكتمل فيها الوحي، واستقل فيها العقل، وأصبح للإرادة حرية الاختيار، ولكن الرواية عود إلى الوراء إلى قصص الأنبياء عند بني إسرائيل، حتى لا يكون خاتم الأنبياء أقل من الأنبياء السابقين"[3]

المطلب السادس

المسلك السادس: عرض الحديث على حقوق الإنسان وحقوق المرأة

وهذا معيار اعتبره بعض الحداثيين، فما وافق حقوق الإنسان، وحقوق المرأة- من منظورهم هم- قبلوه، بصرف النظر عن إسناده، وما يعارض ذلك رفضوه بصرف النظر أيضا عن إسناده.

يقول زكريا أوزون: "وسترى الأخت المسلمة من خلال ما سيتم عرضه من أحاديث – وهي غيض من فيض- أنها مسلوبة الحقوق ومهمشة ومستبعدة في معظم الأحيان عن القضايا الأساسية والأمور الهامة"[4].

يقول خليل عبد الكريم: "شهادة المرأة نصف شهادة الرجل، هل هذه القاعدة تتفق مع وضع المرأة هذه الأيام بعد حصولها على أعلى الشهادات من أرقى الجامعات"[1]

---

[1] زكريا أوزون، 2004م، **جناية البخاري**، ص147.

[2] نصر حامد أبو زيد، 2004م، **دوائر الخوف قراءة في خطاب المرأة**"، المركز الثقافي العربي، الطبعة الثالثة، ص70.

[3] حسن حنفي، 1988م، **من العقيدة إلى الثورة**"، دار التنوير، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ج4، ص185، 186.

[4] زكريا أوزون، 2004م، **جناية البخاري**، ص114.

وهو يشير إلى قوله تعالى: "وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى"[البقرة:282].

وإلى ما أخرجه البخاري في صحيحه، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَضْحَى أَوْ فِطْرٍ إِلَى المُصَلَّى، فَمَرَّ عَلَى النِّسَاءِ، فَقَالَ: "يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي أُرِيتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ" فَقُلْنَ: وَبِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ العَشِيرَ، مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ"، قُلْنَ: وَمَا نُقْصَانُ دِينِنَا وَعَقْلِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ:"أَلَيْسَ شَهَادَةُ المَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ" قُلْنَ: بَلَى، قَالَ: "فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا، أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ" قُلْنَ: بَلَى، قَالَ: "فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا"[2]

وهذه مغالطة كبيرة؛ لأن الله عز وجل جعل شهادة المرأة نصف شهادة الرجل فيما لا يخصها فيما يتعلق أكثر بالرجال، وفي بعض الحالات تقدم شهادتها على شهادة الرجل، وذلك فيما يتعلق النساء ولا يطلع عليه الرجال، أو ما كان إلى أمور النساء ألصق، وعلى ذلك فالمسألة ليست مسألة رجل وامرأة، بل مسألة تعلق واختصاص.

ويقول جمال البنا: "نحن نتوقف أمام كثير من الأحاديث التي جاءت عن المرأة بدءا من خلقها من ضلع أعوج، حتى حجابها حتى لا تظهر إلا عينا واحدة"[3]

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبعد.. فمن خلال البحث توصل الباحث إلى النتائج التالية:

(1) الحداثيون يقدسون عقولهم ويجعلونها قاضية على الكتاب والسنة.

(2) الحداثة قائمة على التحرر من كل القيود، والضوابط، والقيم، والمعايير، وأحكام الشريعة الإسلامية، ومن كل شيء يكون عقبة أمام عقولهم وتوجهاتهم.

(3) الحداثيون ينظرون إلى النموذج الغربي على أنه النموذج الذي يجب أن يحتذى وينشد، وأن تراثنا الإسلامي هو سبب تأخر الأمة.

(4) يتبنى الحداثيون المناهج الغربية لنقد موروثاتهم الدينية التي كانت بالفعل تحتاج إلى نقد علمي وعقلي، لما شاب تلك الموروثات من خرافات وخزعبلات، فهم يتبنون نفس المناهج للتعامل مع التراث الإسلامي.

(5) نبذ السنة، والتشكيك فيها، والطعن في رواتها، وفي مصدرها، قاسم مشترك بين الحداثيين.

(6) عرض السنة على القرآن في مفهوم الحداثيين يعني أن كل حديث لم يأت ما يطابقه في القرآن فهو معارض للقرآن يجب رده!

---

[1] خليل عبد الكريم، د.ت، **النص المؤسس ومجتمعه**"، دار مصر المحروسة، ج2، ص124.

[2] **البخاري، صحيح البخاري**، كتاب الحيض– باب ترك الحائض الصوم– رقم(304).

[3] جمال البنا، د.ت، **السنة ودورها في التجديد**"، ج2، ص252.

(7) يعتمد الحداثيون في نقد الحديث الشريف على المتن فقط دون السند، مقلدين في ذلك الحداثيين الغربيين، بيد أن الغرب ليس لديهم أسانيد ينتقدونها لموروثاتهم الدينية، سواء اليهود أو النصارى.

(8) الحداثيون بعيدون كل البعد عن الموضوعية والتجرد من الأهواء، والبحث العلمي النزيه، بل عندهم قناعات وأحكام مسبقة ينطلقون منها، فما وافقها من الوحي عموما قبلوه، وما خالفها ردوه ورفضوه.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، د.ت، **مجموع الفتاوى"**، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية.

ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، 1379هـ، **فتح الباري شرح صحيح البخاري"**، دار المعرفة، بيروت.

ابن تيمية، د.ت، **درء تعارض العقل والنقل"** جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية.

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، د.ت، **الطرق الحكمية في السياسة الشرعية**"، ، المحقق: نايف بن أحمد الحمد، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة.

ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل الأنصاري الرويفعى الإفريقى، 1414هـ ، **لسان العرب"**، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة.

أحمد أمين، د.ت، **ضحى الإسلام**"، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة.

أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، د.ت، **معجم مقاييس اللغة**"، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر.

البخاري، 1422هـ، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه**"، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى.

جمال البنا، د.ت، **السنة ودورها في التجديد**" دار الفكر الإسلامي، القاهرة.

الحارث فخري عبد الله، د.ت، **الحداثة وموقفها من السنة**"، دار السلام- مصر.

حسن حنفي، 1988م، **من العقيدة إلى الثورة"**، دار التنوير، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى.

خليل عبد الكريم، د.ت، **النص المؤسس ومجتمعه**"، دار مصر المحروسة.

خليل عبد الكريم، د.ت، **الصحابة والمجتمع**"، سينا للنشر، مصر.

الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي، د.ت، **شرف أصحاب الحديث"**، المحقق: د. محمد سعيد خطي أوغلي، دار إحياء السنة النبوية، أنقرة.

الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، د.ت، **مختار الصحاح"**، المحقق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، صيدا.

سامر إسلامبولي، 2015م، **تحرير العقل من النقل وقراءة نقدية لمجموعة من أحاديث البخاري ومسلم**"، القاهرة.

الشوكاني، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، د.ت، **الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة"**، المحقق: عبد الرحمن بن يحي المعلمي اليماني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان

الفيومي، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس، د.ن، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**"، الناشر: المكتبة العلمية، بيروت.

العفيف الأخضر، 2014م، **من محمد الإيمان إلى محمد التاريخ**"، مكتبة بغداد، منشورات الجمل، الطبعة الأولى

محمد حسين هيكل، د.ت، **حياة محمد"**، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الرابعة عشر.

محمود أبو رية، **د.ت، أضواء على السنة المحمدية**"، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة.

مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، د.ت، **(صحيح مسلم) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم"**، ، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

نصر حامد أبو زيد، 2004م، **دوائر الخوف قراءة في خطاب المرأة**"، المركز الثقافي العربي، الطبعة الثالثة.

نصر حامد أبو زيد، د.ت، **نقد الخطاب الديني**"، سينا للنشر.

زكريا أوزون، 2004م، **جناية البخاري**"، الطبعة الأولى.